المحاضرة الثالثة

مفهوم الصف كحقل معرفي وإدراكي:-

يعني مفهوم الصف كحقل معرفي إدراكي أن الصف ليس مجرد مكان لتلقي المعلومات، بل هو بيئة نشطة يحدث فيها التعلم من خلال التفاعل. فالطالب لا يستقبل المعرفة جاهزة، وإنما يبنيها بنفسه من خلال تفاعله مع المعلم، والمادة الدراسية، وزملائه داخل الصف.

وتلعب العمليات العقلية مثل الانتباه، والإدراك، والتفسير، وتنظيم الأفكار دورًا أساسيًا في التعلم، لأنها تحدد كيف يفهم الطالب المعلومات ويتعامل معها. لذلك، كلما كان الصف منظمًا وواضحًا، زادت قدرة الطالب على التركيز والفهم.

كما أن ما يدركه الطالب في الصف لا يقتصر على محتوى الدرس فقط، بل يشمل أسلوب المعلم، وطريقة شرحه، ونبرة صوته، وطبيعة الحوار داخل الصف. فهذه الأمور تؤثر في فهم الطالب للمادة وفي نظرته للتعلم.

وبالتالي، يُعد الصف بيئة يربط فيها الطالب بين خبراته السابقة والمعلومات الجديدة، مما يساعده على بناء معرفته بشكل مستمر، ويجعل التعلم أكثر معنى وفائدة.

- **دور المتعلم:** يتحول المتعلم من متلقٍ سلبي إلى مشارك نشط، قادر على تطبيق، تحليل، تقييم، وابتكار المعرفة.
- **دور المعلم:** يصبح المعلم ميسراً وموجهاً، يهيئ الظروف ويصمم الأنشطة التي تدعم التفكير النقدي والتعلم العميق.

البنية المعرفية للصف

١. البنية المعرفية للصف تعني تنظيم المعرفة والخبرات التعليمية داخل الصف بطريقة تساعد على الفهم والتعلم الحقيقي.
٢. لا تقتصر على محتوى الدرس فقط، بل تشمل أسلوب المعلم في الشرح، وتنظيم المادة، وطريقة التفاعل الصفي.

٣. تعتمد على ربط المعلومات الجديدة بالخبرات السابقة للطالب، مما يسهم في بناء تعلم ذي معنى.
٤. تقوم على التدرج في عرض المحتوى من السهل إلى الصعب، ومن المعروف إلى غير المعروف.
٥. تتأثر بالأنشطة الصفية، والأسئلة، والمناقشات التي تنمّي التفكير والتحليل لدى الطلاب.
٦. تشجع مشاركة الطالب الفعّالة، وتجعله عنصرًا نشطًا في بناء معرفته.
٧. تؤثر بشكل مباشر في نوعية التعلم المتحقق؛ فكلما كانت منظمة وواضحة، كان التعلم أعمق وأكثر فاعلية.

تفسير التعلم الصفي

يُعد التعلم الصفي جوهر العملية التعليمية، إذ يحدث من خلال التفاعل المنظم بين المعلم والمتعلم والمحتوى الدراسي ضمن بيئة صفية لها خصائص نفسية وتربوية محددة. وتهتم سيكولوجية تعليم التفكير بتفسير كيف يتعلم الطلبة داخل الصف، وكيف تتشكل عمليات التفكير لديهم، وما العوامل النفسية والمعرفية التي تؤثر في هذا التعلم.

إن فهم ما يحدث داخل الصف الدراسي لا يقتصر على ملاحظة سلوك الطلبة، بل يتطلب تفسيراً علمياً مستنداً إلى نماذج ونظريات تربوية توضح كيف يتعلم الطلبة، وكيف يُبنى الفهم لديهم، خاصة في المواد العلمية التي تعتمد على التفكير، والاستقصاء، وبناء المفاهيم.

ويقصد بتفسير التعلم الصفي تحليل وفهم الكيفية التي يكتسب بها الطلبة المعرفة والمهارات داخل الصف، في ضوء نماذج تعليمية منظمة، تساعد المعلم على التخطيط للتدريس، وتنفيذ الدرس، وتقويم التعلم.

أهمية تفسير التعلم الصفي:-

تكمن أهمية تفسير التعلم الصفي في النقاط الآتية:

١. مساعدة المعلم على فهم سلوك المتعلمين داخل الصف.
٢. تفسير أسباب الفروق الفردية بين الطلبة في التحصيل العلمي.

٣. اختيار استراتيجيات تدريس مناسبة لمستوى الطلبة.
٤. تحسين إدارة الصف وتنظيم البيئة التعليمية.
٥. رفع دافعية الطلبة نحو التعلم، خصوصاً في المواد العلمية.

مكونات وأركان التعلم الصفي:

- **المعلم:** دوره يتغير من إلقاء المعلومات إلى التوجيه والتنظيم، والتركيز على بناء علاقات تفاعلية إيجابية، وتوفير مناخ داعم ومحفز.
- **المتعلم:** يصبح مشاركاً نشطاً، يكتسب مهارات التفكير وحل المشكلات والإبداع، من خلال الخبرات والتجارب.
- **التفاعل الصفي:** يشمل الحوارات والأنشطة الموجهة لزيادة دافعية المتعلم وتطوير رغبته في التعلم الحقيقي.
- **النظام الصفي:** وضع قواعد واضحة لسلوك الطلاب، وتصميم بيئة تعليمية فعالة، وتوفير الأنشطة المتنوعة (حسية، إدراكية، حل مشكلات).

التعلّم الصفي في ضوء نموذج برونر للتعلّم الاستكشافي

ينطلق برونر من افتراض أساسي مفاده أن التعلّم يكون أكثر فاعلية وعمقًا عندما يشارك المتعلم في اكتشاف المعرفة بنفسه بدل تلقيها جاهزة. ووفق هذا النموذج، يُفسَّر التعلّم الصفي بوصفه عملية استكشاف معرفي تتم داخل بيئة تعليمية غنية بالمثيرات، يوجّه فيها المعلم المتعلمين نحو اكتشاف المفاهيم والعلاقات من خلال التساؤل، والتجريب، والحوار.

في الصف القائم على التعلّم الاستكشافي، لا يُنظر إلى المحتوى الدراسي على أنه مجموعة حقائق يجب حفظها، بل بوصفه بنية معرفية يمكن إعادة اكتشافها من قبل المتعلم. ويؤكد برونر أن أي مادة دراسية يمكن تعليمها بفعالية في أي مرحلة عمرية، إذا ما قُدِّمت بصيغة تتناسب مع البنية المعرفية للمتعلم. ومن هنا، يصبح الصف فضاءً إدراكيًا يُعاد فيه تنظيم المعرفة باستمرار.

دوور الاكتشاف في بناء التعلّم الصفي

يفسّر نموذج برونر التعلّم الصفي على أنه عملية نشطة يتفاعل فيها المتعلم مع الموقف التعليمي ليبني المفهوم بنفسه. فالانتباه في الصف لا يُفرض من الخارج، بل ينبع من فضول المتعلم ورغبته في الفهم. ويؤدي هذا النمط من التعلم إلى ترسيخ المعرفة لفترات أطول، إذ ترتبط المفاهيم المكتشفة بالخبرة الذاتية للمتعلم.

ويؤدي المعلم في هذا السياق دور الموجّه لا الملقّن، حيث يصمم مواقف تعليمية تتضمن مشكلات وأسئلة مفتوحة تدفع المتعلمين إلى التفكير والتحليل والاستنتاج. ويُعد هذا الدور محورياً في تفسير التعلّم الصفي، إذ تتحول الحصة الدراسية إلى سلسلة من الخبرات الاستكشافية المتتابعة.

التمثيلات المعرفية في نموذج برونر داخل الصف

يرى برونر أن التعلم يمر بثلاثة أنماط من التمثيل المعرفي: التمثيل الحركي، والتمثيل الأيقوني، والتمثيل الرمزي. ويُفسَّر التعلّم الصفي في ضوء هذا التصور بوصفه انتقالًا تدريجيًا بين هذه التمثيلات داخل الموقف التعليمي.

فالصف الفعّال هو الذي يسمح للمتعلم بالتفاعل العملي مع المفاهيم، ثم تمثيلها بصريًا، ثم التعبير عنها رمزيًا من خلال اللغة أو الرموز. ويسهم هذا التدرج في بناء فهم متكامل، ويقلل من التجريد المفاجئ الذي قد يعيق التعلم.

لتعلّم الصفي في ضوء نموذج جانيه للتعلّم المتدرّج

على خلاف التركيز الاستكشافي لدى برونر، يفسّر جانيه التعلّم الصفي من منظور بنائي منظم يقوم على التدرج المنهجي في اكتساب المهارات والمعارف. ويرى جانيه أن التعلّم يحدث عبر سلسلة من المراحل الداخلية التي تعتمد كل مرحلة فيها على ما سبقها، وأن نجاح التعلم الصفي يتوقف على ترتيب الخبرات التعليمية ترتيبًا منطقيًا متسلسلًا.

ويؤكد جانيه أن الصف الدراسي يمثل نظامًا تعليميًا يجب أن يُصمَّم بعناية، بحيث تُقدَّم المثيرات التعليمية بطريقة تراعي استعداد المتعلم، وتبني المعرفة خطوة خطوة، من البسيط إلى المركب.

تفسير مراحل التعلّم الصفي وفق جانيه

يفسّر نموذج جانيه التعلّم الصفي باعتباره سلسلة من العمليات المعرفية تبدأ بالانتباه، ثم الاستقبال، ثم التخزين، ثم الاسترجاع، ثم التطبيق. ويقع على عاتق المعلم تنظيم الصف بحيث يدعم كل مرحلة من هذه المراحل.

ففي بداية الحصة، يهيئ المعلم انتباه المتعلمين، ثم يقدّم المحتوى بشكل منظم، ويتيح فرصًا للممارسة، ويقدم تغذية راجعة تساعد المتعلم على تصحيح أدائه. ويُعد هذا التنظيم أساسًا لنجاح التعلم الصفي وفق نموذج جانيه.

أوجه المقارنة	نموذج برونر	نموذج جانيه
دور المتعلم	نشط مستكشف	متدرج متعلم
تنظيم المحتوى	مفتوح	هرمي منظم
دور المعلم	موجه	منظم ومخطط
طبيعة التعلم	اكتشافي	تدريجي تراكمي

العلاقة بين جانيه وبرونر في تفسير مفهوم التعلّم الصفي

يُعد التعلّم الصفي من أكثر الظواهر التربوية تعقيدًا، نظرًا لتداخل العوامل المعرفية والنفسية والتنظيمية التي تسهم في حدوثه داخل الصف الدراسي. وقد سعت النظريات المعرفية إلى تفسير هذا النوع من التعلّم من خلال نماذج تركز على كيفية اكتساب المعرفة وبنائها. ويبرز في هذا السياق نموذجا جانيه وبرونر بوصفهما من أهم الإسهامات النظرية التي أسهمت في تقديم فهم معمّق للتعلّم الصفي. وعلى الرغم من اختلاف منطلقاتهما، فإن العلاقة بين النموذجين تكشف عن تكامل معرفي يمكن توظيفه في تفسير وتنظيم التعلّم داخل الصف.

الإطار المعرفي لنموذجي جانيه وبرونر

ينطلق كل من جانيه وبرونر من المنظور المعرفي الذي يرى التعلّم عملية عقلية نشطة، إلا أن كلًا منهما يركز على جانب مختلف من هذه العملية. **فبرونر ينظر** إلى التعلّم على أنه عملية اكتشاف وبناء للمعرفة من قبل المتعلم، **في حين يرى جانيه** أن التعلّم يحدث عبر مراحل متتابعة

تتطلب تنظيمًا دقيقًا للمثيرات التعليمية. **ويُفسَّر التعلّم الصفي** في ضوء هذا الإطار بوصفه تفاعلًا بين النشاط الذاتي للمتعلم والتنظيم الخارجي للخبرة التعليمية.

برونر وتفسير التعلّم الصفي بوصفه بناءً معرفيًا

يفسّر برونر التعلّم الصفي على أنه عملية يقوم فيها المتعلم بإعادة اكتشاف المفاهيم والعلاقات داخل الصف من خلال التفاعل مع المشكلات التعليمية. ويؤكد أن المعرفة لا تُكتسب بشكل سلبي، بل تُبنى عبر الاستكشاف، مما يجعل الصف بيئة معرفية نشطة. ويبرز دور المعلم هنا بوصفه ميسّرًا يوجّه المتعلمين نحو اكتشاف البنية الأساسية للمادة التعليمية، لا ناقلًا للمعلومات.

ويرى برونر أن التعلم الصفي الناجح هو الذي يُمكّن المتعلم من الانتقال بين أنماط التمثيل المعرفي المختلفة، مما يعزز الفهم العميق ويجعل المعرفة أكثر قابلية للتطبيق.

جانيه وتفسير التعلّم الصفي بوصفه عملية منظمة

على النقيض من الطابع الاستكشافي لدى برونر، يقدّم جانيه تفسيرًا منهجيًا للتعلّم الصفي يعتمد على تنظيم الخبرة التعليمية في تسلسل منطقي. ويرى أن كل نوع من التعلّم يتطلب شروطًا داخلية وخارجية محددة، وأن الصف الدراسي يجب أن يُنظَّم بحيث يهيئ هذه الشروط تدريجيًا.

ويُفسّر التعلّم الصفي في ضوء نموذج جانيه على أنه انتقال من حالة الاستعداد إلى الأداء المتقن عبر مراحل معرفية متتابعة، يتحكم فيها المعلم من خلال التخطيط والتنفيذ والتقويم.

أوجه الالتقاء بين جانيه وبرونر في تفسير التعلّم الصفي

على الرغم من اختلاف المنطلقات، يلتقي النموذجان في التأكيد على مركزية المتعلم في العملية التعليمية. فكلاهما يرى أن التعلم لا يحدث إلا إذا كان المتعلم نشطًا إدراكيًا، سواء عبر الاكتشاف أو عبر معالجة المعلومات بشكل منظم. كما يشترك النموذجان في التركيز على دور البيئة الصفية في دعم العمليات المعرفية، وإن اختلفت طبيعة هذا الدعم.

أوجه الاختلاف ودلالاتها الصفية

يكمن الاختلاف الجوهري بين النموذجين في درجة توجيه المعلم للتعلّم الصفي. ففي نموذج برونر، يُمنح المتعلم مساحة واسعة للاستكشاف، بينما يتولى المعلم في نموذج جانيه تنظيم التعلم وتوجيهه بشكل أكثر وضوحًا. ويعكس هذا الاختلاف تباينًا في تفسير كيفية حدوث التعلم الصفي، بين التعلم القائم على البناء الذاتي، والتعلم القائم على التدرج المنهجي.